

الخطبة السادسة والستون مفاهيم خاطئة عن المرأة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً وبعد:

أولاً - الدين هو ما جاء به القرآن الكريم وما جاءت به السنة الصحيحة، الدين شرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) ثلاث مرات نفس الآية: [التوبة: 9 / 33]، [الفتح: 48 / 28]، [الصف: 61 / 9] الدين ما ثبت عن رسول الله ﷺ.

ثانياً - العادات والتقاليد ليست ديناً، وإنما نقبل منها ما وافق الدين، ونرفض منها ما خالف الدين، والعادات والتقاليد لا يثاب فاعلها، ولا تدخل فاعلها الجنة، وإنما الدين والالتزام به يدخل صاحبه الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صام رمضان إيماناً بفرضيته من الله، واحتساباً للأجر من الله تعالى، هذا يغفر له ما تقدم من ذنبه، وأما من صام رشاقة وجمالاً وصحة وما إلى ذلك، فهذا لا يغفر له ما تقدم من ذنبه.

ثالثاً - نصوص الدين لا يفسرها إلا علماء الدين، نصوص القانون يفسرها القضاة والمحامون، تشخيص الأمراض هي للأطباء وذوي الاختصاص، والدين لا يفسر نصوصه ولا يفتي فيه إلا علماء الدين المختصون، ولو بدا لهم أن النص واضح وصريح، لا بد من أهل الاختصاص.

رابعاً - والذي ضر الإسلام والمسلمين هو تفسير نصوص الدين من قِبَل الأجنب والمستشرقين الذين هم جهلة في لغتنا وجاهلة في ديننا سواءً أكانوا صادقين مخلصين وما أقلهم، أو كانوا مغرضين يريدون أن يشوهوا ديننا وعقيدتنا وفهمنا لشريعتنا وما أكثرهم، ويريدون أن يدسوا في هذا الدين ما ليس منه، ويزرعون الشبهات والشكوك فيما يكتبونه، ولا يغرنك يا أخي الشهادات والأطروحات التي يحملونها لأن السم فيها ومن ورائها، والذي يؤلم القلب ويحرقه ويدميه هو أن بعضاً منا ومن جلدتنا ومن أبناء عربتنا وديننا ومن المحسوبين على أمة لا إله إلا الله يتبنون ويأخذون ويستشهدون ويعتمدون ويقتبسون من هؤلاء الكفرة الفجرة وكأن ديننا بحاجة إلى هؤلاء، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

خامساً - هناك من إخواننا من لا يفهم النصوص كما يجب ويراهم مناقضة لروح العصر، وروح التقدم، وروح الانفتاح، فإما أنه يضعفها أو أنه يؤولها ويفسرها تفسيراً فاسداً، ومثال ذلك قوله ﷺ: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» ت - ك - حم - البزار - صحيح الجامع، فهذا الحديث ضعفه كثير ممن يدعون العلم، وعللوه بأنه مُخل بحق المرأة وأنه إهانة لها وأنه وأنه... لِمَا أوردوه من تفسيرات وتعليقات باطلة كاذبة، الله ورسوله برآء منها.

والسؤال الآن: أي سوء أدب هذا أن ترد على رسول الله؟ أي دين هذا أن تُكذِّب ما صح عن رسول الله؟ وسؤال آخر هل فهمت مقصد رسول الله قبل أن ترد؟ هل عندك دليل وبرهان كي ترد حديث رسول الله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون. هل أمر رسول الله المرأة بالسجود لزوجها؟ الجواب: لا. هل يجوز لأي إنسان أن يسجد لأي إنسان؟ الجواب: لا. وهل فهم هؤلاء معنى حرف (لو)؟ وهو حرف امتناع لامتناع، (لو كنت أمراً أحداً - وهو صلى الله عليه وسلم لم يأمر - لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)؛ انتفى الأمر فانتهى السجود،

إذا ما المراد من هذا الحديث؟ وما المقصود منه؟ المقصود منه ما جاء به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: 4 / 34]، وقوله تعالى: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 2 / 228]، الحديث فقط لتبيان حق الرجل على المرأة، انتهى. لا إهانة ولا سجون ولا تحقير ولا ذل ولا أي شيء من هذه التعليلات الفاسدة.

سادساً - أو أن بعضهم أي ممن يدعون العلم، يفهمون النصوص فهماً خاطئاً بالكلية ويخرجون عن مضمونه، غفر الله لنا ولهم، ولا أقول عن سوء نية حاشا لله وكلا، ولكن لعدم الفهم لأصول الشريعة. وهذا كثير في الخطب والمقالات، والأمثلة كثيرة جداً.

لكن ما يهمني الآن موضوع المرأة، ومثاله قوله - كما جاء به أبو سعيد الخدري رضي الله عنه - قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرّ على النساء، فقال ﷺ: «يا معشر النساء تصدقن فيني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تُصم؟ قلن: بلى، قال ﷺ: فذلك من نقصان دينها» متفق عليه.

ألم يقل الله تعالى في شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل وسببها: ﴿أَنْ تَصِلَ إِحْدَهُمَا فَتُكْرِهَ إِحْدَهُمَا لِأُخْرَى﴾ [البقرة: 2 / 282]؟ ألم ينة رسول الله ﷺ عن اللعن وكفران العشير؟ الجواب: نعم، فمن أتى بما نهى رسول الله ﷺ عنه ألا يكون ناقص عقل لأنه فعل ما يوجب العقوبة ونقصان الدين، لانهدام التقوى؟ وهل هذا للنساء فقط؟ الجواب: لا، ولكن علم رسول الله ﷺ من ربه أن النساء في فعل هذا أكثر من الرجال. وهل نقصان دينها بأنها لا تُصلي إذا حاضت ولا تصوم؟ هل هذا رحمة من الله ومكرمة من الله تعالى؟ وشهادتها نصف شهادة الرجل لأن عالمها هو بيتها، اختصاصها أولادها وزوجها، عطفها حنانها شفقتها

تطغى على عقلها فتُحكّم قلبها وعاطفتها وحبها وحنانها، وشفقتها قبل عقلها. وحقوق العباد تقوم على الحق وليس على العاطفة، حقوق العباد مُحترمة مُصانة (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا) أن تنسى أن تغلب عليها عاطفتها وحنانها، فتذكرها أختها - والله أعلم - هذا الحديث إكرام للمرأة ورحمة بها وتنبية لها، وتذكير لها وللرجال بأن لا نلعن ولا نشتم ولا نجحد حقوق بعضنا البعض.

فيا أخي في الله، الإسلام أعزّ المرأة وصابها وأعطاه حقوقها كاملة، والمرأة كانت مضطهدة ومظلومة ليس في المجتمع العربي فحسب بل في جميع مجتمعات العالم، وليس موضوعي أن أسرد أحوال المرأة في المجتمعات المختلفة، فهذا موجود في الكتب والموسوعات لمن أراده، ولكن موضوعي هو أن الإسلام هو الأول وهو الرائد في هذا المضمار، وذلك لأن الإسلام هو التشريع النهائي للبشرية إلى يوم الدين، هو التشريع المحفوظ من قبل رب العالمين للبشرية إلى يوم القيامة، الإسلام هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للبشرية كلها ولكافة مجتمعاتها، الإسلام هو الدين البشري والمقصود بهذا أنه لا ينتمي إلى عرق أو مجموعة أو بيئة أو حقبة معينة من الزمن، أي أن الإسلام لا يحده مجتمع ولا يحده زمن ولا تحده فترة اقتصادية معينة، الإسلام لكل زمان ومكان ولكل مجتمع مهما اختلفت عاداته وتقاليده. والمرأة ركن من أركان المجتمع الإنساني، مثلها مثل الرجل، عليها حقوق وواجبات، وكذلك الرجل، وكما قال أحدهم: المرأة نصف المجتمع وهي تربي النصف الآخر.

ما أعظمك يا سيدي يا رسول الله، قبل وفاتك بقليل توصي الأمة بأعظم الأمور وأهمها: (الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم).

سابعاً - وهناك من إخواننا من يبالغ في أمر المرأة وذلك انسياقاً وراء الموجات الغربية وانسياقاً وراء الحركات والدعوات الكاذبة الهدامة؛ كأن يقول بأن الزوجة ليس عليها خدمة زوجها وأولادها، وأن على الزوج أن يأتي لها بخادمة ترعى شؤون البيت، ولقد سمعت بعضاً منهم - والله يشهد - يقول: ليس هناك دليل على أن المرأة

يجب عليها خدمة بيتها وزوجها، فهي ليست خادمة، وإنما هي شريكة وزوجة، وما إلى ذلك من الافتراءات.

أقول وبالله العون: نعم إن الزوجة ليست خادمة، وهي زوجة وشريكة ولها العزة والكرامة مثل ما للرجل، ولكن من التي تحمّل الولد؟ ومن التي تلد الولد؟ ومن التي تُرضع الولد؟ ومن التي تقوم على خدمة الولد ورعايته وتربيته؟ الزوج أم الزوجة وهل هذه المهام من تصنيف الزوج وأوامره أم هي خلقه الله ومشيتته؟ الرجل يخرج لطلب الرزق ويعود في الليل، يعود ليطبخ وينظف ويطعم أولاده؟ كفاكم سفاهة وكفاكم ادعاءات فارغة. الزوجة شريكة تصون بيتها وتنظفه وترعى أولادها وزوجها، والزوج يربي ويعمل ويصون بيته من الحاجة ويقوم بأمر أسرته ومعاشها.

أما كانت بنت أشرف الخلق وسيد الخلق وسيد المرسلين تنظف بيتها وتخبز وتطبخ وترعى أولادها وزوجها، وكانت تقطع المسافة تحمّل النوى وتطحنه وتطعم فرس زوجها، ألم تطلب من أبيها عليه أفضل الصلاة والسلام خادم لأن عملها في البيت شاق ويرهقها، فدخل عليها عليه الصلاة والسلام وقال لها: «سبحي ثلاثاً وثلاثين واحمدي الله ثلاثاً وثلاثين وكبري الله أربعاً وثلاثين قبل أن تنامي أو إذا أخذت مضجعك فإنها خير لك من خادم» أو كما قال من رواية مسلم وفي المعجم الأوسط للطبراني وفي مسند أبي يعلى الموصلي. ولو راجعنا سيرة الصحابييات: ألم يقمن بخدمة بيوت أزواجهن، كفانا مهزلة وادعاءات الفارغة، وهؤلاء الذين يطالبون بحرية المرأة، بالله عليكم، حرية المرأة، من ماذا؟ أكملوا الجملة، حرية المرأة من ماذا؟ من شرع الله؟ من الحجاب؟ من الالتزام ببيتها وأولادها وزوجها؟

هل نحن مسلمون أم أننا كفرة فجرة والعياذ بالله حتى نتحرر من شرع الله؟ هل نحن مسلمون أم أننا كفرة فجرة نعبد أهواءنا وشهواتنا؟ بالله عليكم اتركوا اللافتات والدعايات الغربية الغربية، أنا أعيش في الغرب وأعرف وأعلم ما يريد

هؤلاء الدعاة وهم في كل مكان، يريدون العبث بالمرأة، والعبث بجسدها والتمتع به، والفاحشة والإباحية، دون مسؤولية، ويريدونها تعمل وتخدم نفسها وتصرف على نفسها، يريدونها سلعة رخيصة، ويغرونها بالحرية، لا بيت، لا زوج، لا أسرة، تعمل تكافح، ثم تخرج فيتمتع بها الرجل، وكلُّ يذهب إلى بيته؛ لا مسؤولية ولا كفالة ولا حب ولا احترام. هل هذا يقارن بالإسلام؟ هل هذه الأسرة الغربية تُقارن مع الأسرة المسلمة؟ يموت الرجل دفاعاً عن زوجته، دفاعاً عن عرضه، دفاعاً عن شرفه، لأنها غالية ثمينة، ولأنها أسمى ما في الدنيا، أم أولاده، حبيبته، شريكته، زوجته، يعمل ويكدح طول يومه ليسد حاجة أسرته، يقوم الليل يصلي يدعو يبتهل إلى الله حتى يصون الله تعالى زوجته وأسرته، ويقويه حتى يقوم برعايتهم.

المرأة في الإسلام، أم يُتَقَرَّبُ إليها، وهي أحق الناس بحسن المعاملة، وحسن الصحبة، وحسن الرعاية وقوله ﷺ: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» لا يخفى على أحد، الأم كما في قوله للرجل معاوية السلمي لما أتاه يريد الجهاد مع رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «ويحك أحيّة أمك؟ قال: نعم يا رسول الله، قال ﷺ: ويحك الزم رجلها فثم الجنة» سنن النسائي للألباني.

والمرأة في الإسلام، جدة فلها حقوق الأم، والمرأة ابنة وأخت وخالة وعمة، كل له حقه وكل مُصان، قال عليه الصلاة والسلام: «من كان له ابنتان فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» ابن أبي شيبه.

وهكذا لو كان له أخوات أو عمات أو خالات أو نحوهن، فأحسن إليهن فإننا نرجو له بذلك الجنة، وقال عليه الصلاة والسلام: «يقول الله عز وجل: مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ» البخاري.

حُزْنُ الزوج على زوجته إذا ماتت، فاحتسب فله الجنة، وحُزْنُ الزوجة على زوجها إذا مات فاحتسبت فله الجنة، وموت كل حبيب ولو كان صديقاً فاحتسبه الإنسان كان له الجنة بإذن الله.

الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على هدايته لنا، الحمد لله على كل حال، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

